مجلة أنثروبولوجيا ISSN: 2437-041X
مجلد: 09 عدد: 01 السنة 2023 E-ISSN:2588-2325

ظاهرة الوشم الأنثوي: الرمز والوظيفة.
قراءة أنثروبولوجية.

phenomenon of female tattoos: symbol and function. anthropological reading.

مولود قدور بن عطية*، جامعة عبد الحميد بن باديس، mouloud.univ.1785@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2022/05/26 تاريخ القبول: 2023/01/31 تاريخ النشر: 2023/06/30

ملخص:

تهدف الدراسة الحالية إلى دراسة ظاهرة الوشم الأنثوي من منظور انثروبولوجي، ذلك لأن خصوصية هذه الظاهرة، كوجودها ضمن نمط خلافي من مجتمع إلى آخر، أو تباين رموزها والوظائف التي تؤديها، وبغض النظر عن الكيفيات التي توضع بها فإنها تقتضي إثارة العديد من التساؤلات التي ستجيب عنها الدراسة الحالية، وعليه فقد تم تتبع سياق منهجي دياكرونيكي يضم نسقا من العناصر التي تحيل في الوهلة الأولى إلى البحث في السياق المفاهيمي لظاهرة الوشم الأنثوي من المنظور اللغوي والاصطلاحي، وبعد ذلك النظر في الاطار الأنطولوجي-الوجودي الذي ظهرت فيه الظاهرة منذ أن شهدها الإنسان الأول إلى أن قام بترهينها على شكلها الحالي، ثم التطرق إلى الكيفيات التي يتم وفقها وضع الوشم على الجسد انطلاقا من الصور التقليدية أو الحديثة منها، والمرور بعد ذلك نحو تتبعها من حيث أنواعها والأشكال التي تظهر ضمنها، وانتهاءً باكتشاف الإحالات الرمزية والدلالات التي تنهض عليها رموز الظاهرة المدروسة، لنتمكن بالتالي من معرفة الوظائف التي تؤديها ظاهرة الوشم بشكل عام.

الكلمات المفتاحية: الوشم، الرمز، وظيفة الرمز، الدلالات الرمزية، العلامات.

* المؤلف المرسل.

Abstract :

This research paper aims to study the phenomenon of female tattoos from an anthropological perspective, this is because the specificity of this phenomenon, such as its existence differently from one society to another, or the difference in its symbols and the functions it performs and the ways in which it is placed requires raising many questions that will be answered by the current study. A diachronic methodological context was followed that includes a system of elements that refer first to researching the conceptual construction of the female tattoos phenomenon linguistically and idiomatically, and then looking at the ontological framework of the phenomenon since the first human witnessed it until now, and then addressing the methods of placing tattoos on the body based on traditional images for accuracy or the modern ones, and the passage towards tracing this phenomenon in terms of its types and the forms that appear within it, and ending with discovering the symbolic references and the connotations upon which the symbols of the studied phenomenon are based, so that we can thus know the functions performed by the phenomenon female tattoos.

Keywords: Tattoo, symbol, symbol function, symbolic semantics, signs.

مقدمة:

مما لا شـك فيه أن الممارسـات الثقافية تتعدد في أي مجتمع، ذلك لكونها نتاج لأنسـاق ثقافية مترسخة في المخيال الاجتماعي، هي الأخرى ليسـت ذات نمط موحد، حيث تتناقل وتتداول فئات المجتمع بكل تكويناتها البنيوية ممارسات ثقافية متباينة ترسيخا لأغراض وأبعاد خلافية، وعليه تجدر الإشارة في هذا السـياق إلى أن الممارسـات الثقافية ليسـت ذات نتاج صـدفي أو عشـوائي، وبالتالي فهي تنهض على معاني وإحالات رمزية محددة.

نأتي في هذا الصدد إلى استحضار ظاهرة الوشم الأنثوي، بوصفها معطى ثقافي في الوهلة الأولى، وعلى أنها في المقام الثاني كممارسـة ثقافية، وبعد ذلك فهي من جملة الظواهر التي صـاحبت الانسـان نظرا لما تجسـده من أدوار وظيفية في المجتمع على اختلاف تكويناته البنيوية، لتكون بذلك ظاهرة الوشـم في شقه الأنثوي لغة ذات بعد وظيفي لامتناهي، وبالتالي فالوشم يتحول من كونه مجرد أشكال ورسومات إلى رموز ذات معاني وإحالات مقصودة وهادفة.

أولا. عرض بعض العناصر المنهجية:

1. إشكالية البحث:

اختلفت التصورات النظرية التي تتعلق بظاهرة الوشم وتعددت حسب المناطق التي ظهر فيها والمجتمعات التي مارسته كعرف أو تقليد، فهو ظاهرة إنسانية شهدتها العديد من المجتمعات ومارستها بأشكال تعددت صنوفها، لذلك توحي الممارسات المتعلقة بهذه الظاهرة بأنها محملة بإعتقادات وتصورات الجماعة لطبيعة الوجود والعلاقات المطروحة بين أفراده، فالوشم من زاوية خلافية هو انعكاس للواقع المعيش من حيث مكنوناته وعلاقاته وحتى الأشكال والرموز التي يتفاعل معها الإنسان بشكل دائم، وعليه تدفعنا هذه الأخيرة إلى اعتبار الوشم في أساسه ظاهرة طبيعية، حيث تترك الطبيعة مخلفاتها شاهدا على هذا الفعل ، لتظهر الطبيعة وفق هذا المنظور على أنها الواشم الأول الذي يخلِّف رموزه ويحاول تخليدها بعدة كيفيات، فمن الطبيعة نقل الإنسان الأول لفكرة الوشم من حيث التصور والممارسة والغرض، ومنها كذلك استخرج أدوات الوشم بشكل يتطابق مع رغباته النفسية والاجتماعية وحتى الثقافية، لذلك تظهر باستمرار محاكاة الطبيعة في خطابات الإنسان عن الوشم، الأمر الذي تمخض عنه تحول الوشم في الآن ذاته من ظاهرة طبيعية إلى ممارسة ثقافية واجتماعية وإلى ظاهرة أنثربولوجية مكتظة بالإحالات الرمزية.

ضمن هذا البحث نخص ظاهرة الوشم الأنثوي بالمتابعة البحثية نظريا، بوصفه يتعلق بجسد يختلف عن الآخر الذكوري، وذلك انطلاقا من التساؤل العام التالي:

- ما هو الدور الوظيفي الذي يؤديه الوشم على الجسد الأنثوي؟

تندرج ضمن التساؤل العام تساؤلات أخرى فرعية، الغرض منها إثراء هذا البحث وتحديد سياقه الابستيمولوجي، منها:

- كيف نكتشف الوشم الأنثوي أنطولوجيا؟
- ما هي الكيفيات والأشكال التي ينهض عليها الوشم الأنثوي؟
- عن أية أبعاد رمزية نتحدث إذا تعلق الأمر بالوشم الأنثوي؟

2. أهداف الدراسة:

تحاول الدراسة الحالية التوصل نظريا إلى عينة من الأدوار الوظيفية للوشم الأنثوي، على اعتبار أن أغلب الأشكال والرموز والرسومات التي توشِم بها الأنثى جسدها ليست صدفية، فهي ممارسة خاضعة لأغراض مقصودة ومحددة مسبقا.

3. أهمية الدراسة:

تتمثل أهمية الدراسة في اكتشاف ماهية الوشم الأنثوي والوقوف على جملة الاختلافات التي تميزه عن الوشم الذكوري في اطار القراءات النظرية المتاحة بناء على منهج استنباطي-استخراجي، فضلا عن معرفة طبيعة الوشم كممارسة وحدود المحاكاة الحاصلة إذا تعلق الأمر بالطبيعة.

4. البحث عن تعريف لظاهرة الوشم:

1.4. الوشم في اللغة:

ورد الوشم في المعجم الوسيط على انه "غرز الجلد بإبرة ثم ذر الدخان والشحم عليه لتصير منه رسوم وخطوط" (الوسيط، 2004، 216) فضلا عن ذلك يعد الوشم "مجموع الوسائل التي تتسرب من خلالها مواد ملونة من أصل نباتي أو معدني نحو طبقات عميقة من الجلد، مساهمة في بروز ألوان ورسومات ظاهرة وأزلية" (يخلف، 2017، 216) ، وعن الجوهري في الصحاح أن وَشَمَ اليد وَشْما، إذا غرزها بإبرة ثم ذر عليها النَوُور وهو النَّيْلَج، ويقال وَشَمَ: يشيم ومعناها وَشَمَ يوشم، والاسم كذلك الوَشْم، والجمع الوِشام، واستَوْشَمه أي سأله أن يَشِمَه، وعند الازهري في كتابه تهذيب اللغة قيل: وَشَمت تَشِمُ وشما فهي واشمةٌ، والأخرى موشومة ومستوشِمة، وعن ابن شميل الوشوم والوسوم تعني العلامات (الهلنسي، 1997، 138) . وهو على العموم يعني وضع علامات معلومة على الجسد، تستعمل في ذلك أدوات خاصة من إبر للوخز، ومواد خاصة بالتلوين.

2.4. الوشم اصطلاحا:

يعد نموذجا رمزيا ضمني يتجاوز حدود الجماليات الفنية، ودوائر التنميط السلوكي المستجيب لحاجات بعينها، إلى ارسالية تساهم في نقل استعمالات الجسد الاستعارية، لأجل خلق حوار مع الآخر (يخلف، 2017)، كما يشير Sammon Wener أن عملية نقش لرمز مرسوم على البشرة، يمثل نوعا من الكتابة الدائمة لثباته على البشرة، أو يمثل نوعا من الرسوم الزائلة، لكونه يعبر عن فترة محددة من الحياة، حيث يُحدث خدشا وإصابة على الجسد فيبرز على الجسم الرمز والصورة، بمعنى أنه يقع ما بين تقاطع ثنائي يجمع بين الخيالي والرمزي." (كركوش، 2015، 258- 259) وفي تحديد آخر على أنه "ما يزين به الريفيون أيديهم وصدورهم وشفاههم ووجوههم لم يكن عبثا، بل يعود إلى التاريخ القديم عندما كان الناس يعيشون حياة بدائية يقدسون فيها بعض الحيوانات ويخشون من بعض مظاهر الطبيعة كالموج والرياح والمطر والرعد" (ابراهيم، 2009، 128) وانتهاءً بأنه "يعد من الفنون الشعبية الهامة لما يتضمنه من وحدات فنية تشكيلية تعبر عن موضوعات بأكملها باستخدام خطوط وايقاعات تعبيرية تلقائية، إن جمالية الوشم بوصفه شكلا فنيا تكمن في تداخل خطوطه واشكاله بشكل منسجم ومتناسق مقابل الدقة والبساطة في التعبير" (طلعات، 2008، 02) إذن وتأسيسا على عينة التعريفات

السابقة حول ظاهرة الوشم، يتضح أنه ممارسة ذات أبعاد وخلفيات محددة وغير صدفية، فهو قد يتعلق بالزينة حينما تتزين المرأة أو حتى الرجل بوشوم ذات بعد جمالي، كما يرتبط في حالات مغايرة بأهداف خاصة يُعبر عنها رمزيا.

3.4. الوشم إجرائيا:

يتحدد الوشم إجرائيا على أنه نسق من الرسوم والأشكال المستوحاة من الواقع المعيش للإنسان، حيث يتبناها هذا الأخير فيقوم بنسخها على جسده ليعبر بها عن أغراض تتعلق بحياته الخاصة، فيضع لكل رسم أو شكل هدفا مقصودا، لذلك سيتوجه البحث الحالي حول معنى الوشم الأنثوي ورمزيته التي تتمخض عنه.

ثانيا. عرض أنثروبولوجي ظاهرة الوشم:

1. الوشم من المنظور الأنطولوجي:

أنطولوجيا، تعد الكهوف الموطن الأول الذي وجد فيه الوشم، حيث "ظهر في الكهوف القديمة من خلال الرسومات الطوطمية عند الاغريق حوالي 6000 ق. م للدلالة على انتمائهم إلى قبيلتهم، ويُحرم عليهم المساس بهذا الطوطم". (وافي، 1959، 42، 43) في سياق آخر وجد الوشم عند المصريين القدامى، "فقد وجد لدى المصريين القدامى على المومياات وظنوه علاجا للحسد، كما اتخذته قبائل أخرى قربانا للآلهة وتعويذة لحمايتهم من الشَّر، حيث يستعملون فيه مواد حادة وكيماوية لضمان بقاء الوشم داخل طبقات الجلد الداخلية". (عباس، 2014، 3، 10). كما قدس الفراعنة في حضارتهم القديمة الأغنياء منهم والحكام من موتاهم فكانوا يضعون على ظهر كل ميت رمزا يشِمونه به باللون الأحمر، ومن جهة أخرى فقد تعرف اليونان على الوشم كغيرهم من الحضارات، حيث أقر هيرودوتس المؤرخ اليوناني أن الوشم من رموز الشرق التي كان يتباهى بها النبلاء.

الصينيون القدامى من حضارات الشرق التي مارست الوشم "وفق ما أكده الرحالة ماركو بولو اعتبارا لما جاء به المؤرخ الصيني -ما تيان لين- 12 قبل الميلاد، حيث أن المرأة الشريفة التي تنتمي لعائلة غنية تضع ليلة زفافها وشوما للزينة، فكانوا الوشم لغرضين الأول للزينة والجمال والثاني الجراحة" (بن سليمان، 1997-1998، 25) ، وفي عهد حنبعل شهد حضور ظاهرة الوشم، حيث "تم العثور على أقنعة طينية تحمل رسومات لرجال ونساء يضعون على أجسادهم وشوما بأشكال مختلفة كالهلال والخطوط العمودية والدوائر ترتكز في وجوههم". (بن سليمان، 1997-1998، 19).

في شمال افريقيا، كما يشير إلى ذلك GEORGE GOBERT تعرف الإنسان على الوشم هو الآخر، (GEORGE, 1984, 27) ، فقد كانت النساء الأمازيغيات في شمال إفريقيا تتزين بالأوشام " ومن بينها تخصيب المرأة الأمازيغية جلدها بالأصباغ والألوان من خلال وخزات الإبر، وهو ما يسمى

بالوشـــم الذي مازال يمارس حتى الآن في بعض المناطق الريفية لدى الأمازيغ بالجزائر وتونس والمغرب" (الجطاري، 2000، 67) على عكس الأزمنة السابقة التي عرفت تواجد ظاهرة الوشم، فإن الإسلام شهد هذه الظاهرة بوصفه يمثل معلما تاريخيا بارزا في تاريخ الإنسان، وقد تفاعل معها ليس من حيث إثرائها فحسب لكن فضلا عن ذلك من حيث شرعنتها أو رفضها، لذلك "ففي العهد الاسلامي أدخلـــت علـــى الوشم وحدات هندسية وزخرفيه جديدة، كالنجمة والهلال، والواقع أن هذا الفن كان مكروهاً في نظر الإسلام (عامر، 1981، 3)

2. حول طرائق دق الوشم:

اعتبارا للقراءات المتوفرة حول ظاهرة الوشم، لاسيما في شقها المتعلق بكيفيات دقِّه، فإن هذه الأخيرة لا تستقر على نمط واحد، نظرا لأن التركيبة البنيوية للعادات والتقاليد تختلف من مجتمع لآخر، ومنه فإن الشائع في طرائق دق الوشم يرتبط بالإبر، حيث "يتوجب ربط ثلاثة إلى سبعة منها بخرزة او عجينة، تشد بواسطة خيط وتغمَّد بعد ذلك في الصخام أو الفحم لتأخذ لونه، ومن ثم توضع على الموضع المراد وشمه، مع الحرص على الابتعاد عن الشرايين خلال عملية الرسم، كما يلزم الموشوم بتجنب الماء حتى يجف الدم، كي لا يحدث تقرح لموضع الوشم."(بركات، 2008، 68). يستعمل المكلف بالوشم عند الوخز بالإبر ألوانا مقصودة، في منطقة شمال إفريقيا كانت الألوان الشائعة في الوشم اللون الأخضر والأزرق، فضلا عن ذلك "وفي فترات لاحقة تم الاعتماد على إبرة رفيعة لحقن المواد اللونية المختلفة، حيث تأخذ شكل حبيبات تحت الجلد لتعطي ألوانا مختلفة، وأغلبها عضوي، فالكاربون يعطي اللون الأزرق، وأكسيد الحديد اللون الأسود، وأكسيد الكروم اللون الأخضر، والكبريت اللون الأزرق، وسلفيد اللون الزئبق اللون الأحمر، بالإضافة إلى الخلطات النباتية التي تعطي صبغات مختلفة الألوان." (سويلم ، 2013، 12).

بخلاف ذلك وفي مصر، فإن الوشم يتم بطرائق أخرى، منها استخدام إبر ومشارط تغرس في المكان الذي يراد وشمه بالكيفية المطلوبة حتى تدمى ويوضع عليها الحبر الصيني والهباب أو الفحم المسحوق بعد إذابته في الماء، كما يستخدم فضلا عن ذلك مسحوق القرميد الأحمر أو السلقون حسب اللون والدرجة التي يتطلبها نوع الوشم، في السياق ذاته تختلف كيفيات الوشم في المنطقة الواحدة، إذا تعلق الأمر بإفريقيا فليست هناك طريقة موحدة للوشم، حيث "اعتادت العديد من القبائل الإفريقية على تقريح البشرة خلال عملية الوشم بإحداث ثغرات عن طريق سكين مدبب ثم تفرك مواضع تلك التقرحات بأصباغ محروقة لتكتسب البشرة ألوانا مغايرة للونها الأساسي، وبعدها تلتئم الجروح مع بروز مواضع الوشم". (حسيني، 2013، 50) بخلاف ذلك تستخدم بعض القبائل في إفريقيا الوسطى

مِبردا لإحداث تقاطيع على الوجه والجسم على العموم، وبعدها يسكب عليها صباغ لتثبيت اللون الأزرق بقصبة أو ريشة فتأخذ هذه الخدوش شكل منحدرات محدَّبة ذات رسوم خاصة.

تأخذ ظاهرة الوشم منحى آخر، في منطقة السودان على سبيل الذكر تختلف الأدوات، حيث "يمتزج التشريط بالوشم فيتخذ شكل وحدات ملونة تُرسم بأداة حادة لتحدث تقرحات في البشرة، وبعدها يتم فرك مواضعها برماد وبعض الحشائش أو أصماغ النباتات، فيتورم بعدها الوشم ويَبرز عن مستوى سطح البشرة فيشكل رموزا تستعمل في أغلب الحالات للتزيين أو العلاج ضمن طقوس العبور أو التطهير، أو لتحديد الانتماء القبلي (حسيني، 2013، 50-51).

عرفت ظاهرة الوشم تنوعا في كيفيات دقها، تَرافق ذلك مع ظهور التكنولوجيات الحديثة، مما ساهم في شيوع الوشم في سياق عالمي، لذلك "في أواخر القرن التاسع عشر، اخترع "الأمريكي صامويل أوريلي Samoel Orely جهازا يعمل على دق الوشم بالكهرباء، ساهم في رواجه وزيادة الإقبال عليه خاصة بين الجنود والبحارة وعاملي السيرك خلال فترة الحربين العالميتين، وذلك لإبراز انتمائهم الفئوي الذي أثر على طبيعة الرسائل الموشومة، فأغلبهم يشتركون في عامل البعد عن عائلاتهم والتطلع للتقرب والرجوع، لذا فالموضوعات المرسومة مشتركة على الأغلب وذات بعد انتمائي". (طلعات، 2008، 20)

يتوسع تنوع ظاهرة الوشم، فقد ظهرت أدوات جديدة لذلك في اطار التقدم التكنولوجي، حيث قامت مجموعة من الشركات اليابانية بإنتاج أدوات دقيقة تحيل إلى رسم الوشم عن طريق الليزر، لتتجاوز بعد ذلك مشكلة الوقت والدقة لتسمح برسم الوشم وفق سرعة رهيبة مهما بلغت صعوبة أو تعقيد الرسم المطلوب، إلا أن هذا التطور لم ينسحب على الآلات المستخدمة في الوشم فحسب، لكنه امتد أكثر إلى محتوى الوشم فتنوعت الأشكال والألوان وازدادت تعقيدا لتضم لوحات فنية لعدة رسَّامين أكثر شهرة.

3. أنواع الوشم:

يتحدد نوع الوشم بكيفية استعماله ووظيفته التي يؤديها، على اعتباره رسوما وأشكالا غير صدفية، ومنه "التاتو، الوشم الدائم، الدق -نسبة إلى تسمية للوشم عند البادية الشمالية- الوشم اللاصق، والوشم المؤقت ...وقد أضاف ألبيرتو سافيولي: الردية، الخصر، براثين الدب، مشط الحية، شمس، وردة، نقاط، ثم غزال، ولهذه الأسماء علاقة بالأشكال، ...الغزال مرتبط بحياة البدو الذين اعتادوا صيد الغزلان، وشم مخدة بنت الملك عادة ما يدق على باطن الساعد، ووشم الكتف الذي يدق على الكتف". (عبد الحكيم، 2012، 8) يمكن تحديد أنواع الوشم التالية:

- **وشم الإصابات**، ينتج عن دخول مواد على شاكلة الإسفلت، أو سن قلم الرصاص داخل الجلد نتيجة الإصابة في حادث مروري أو غيره.

- **وشـم الهواة**، يقوم شـخص بوضـع حبر أو رماد على الجلد، ثم وخز الجلد لتدخل جزيئات هذه المادة داخله، ويكون شكل الوشم غير متقن وعلى مستوى سطحي داخل الجلد.
- **وشـم المحترفين**، يسـتخدم فيه جهاز مخصَّـص لإدخال اللون المطلوب تحت الجلد، عادة ما يكون على شـكل متقن وبألوان متعددة، يحتوي غالبا على مواد توضع في مسـتويات أعمق من طبقات الجلد.
- **الوشـم الطبي**، هو من الوشـوم التي تسـتخدم في حالات نادرة، لتحديد منطقة معينة سـيتم تعريضها لعلاج الإشعاع لدى مرضى السرطان.
- **الوشـم التجميلي**، يتم فيه رسـم الحواجب أو أطراف الشـفاه أو الشـفة كاملة أو على شـكل كحل للعينين، يتم ذلك بالوشم بمواد مخصصة، كما يستخدم بعد عمليات الثدي الجراحية لتعويض شـكل اللحمة بعد ازالتها جراحيا، وقد يسـتخدم لإخفاء لون الهاق. (عبد الحكيم، 2012).
- **الوشـم الاعتقادي**، يرتبط بالفأل، فهو وشـم فالي، القصـد منه إلتماس البركة، في منطقة تيارت مثلا تتبنى النسـوة هذ الوشـم، فهو يرتبط بالمثل القائل -نواصـي وعتب وبعض من الذرية- "فالنواصـي هي جمع ناصـية أي الجبهة أو الجبين وعتب أي عتبة المنزل والذرية هم الأبناء، فهذه العناصـر الثلاث يعزى إليها النجاح أو الفشـل، وانطلاقا من هذا المثل تلجأ النسـاء إلى وضـع الوشـم الفالي اعتقادا منهن بمفعوله السـحري على جلب المسـرات ودحض الاحزان". (سـاري، 2017، 313) من أنواعه وشـم العياشـة، الذي يرتبط بالحياة والرغبة في استمرارها، إنه يعكس لهفة الإنسان في التمتع بالحياة، فهي مشتقة من "العيش وهو الحياة، كانت تشـمه الأمهات على الذقن أو الخد وغالبا على الجبين بالإبرة أو مشـط، ثم تضـع غنجا بواسـطة إصـبعها على المنطقة الدامية وبعد ثلاثة أيام يظهر اللون الأخضـر للوشـم ويسـمى العياشـة، اعتقادا أنه يحفظ الحياة". (البحيري ، 2008، 225)
- **الوشـم المناسـباتي**، تقتضي القيمة الرمزية للعديد من المناسـبات كالميلاد أو الزواج والختان إيجاد وسـيلة لترسـيخها، لتصـبح معلما بارزا في حياة الإنسـان، وعليه فإن الوشـم المناسـباتي "يرتبط بالوضـعية الاجتماعية لحامله، وعادة ما يتخلل الأحداث والمناسـبات المرتبطة بدورة حياتـه، لكن عـادة مـا يكون مشـتركا بين أفراد الجمـاعـة الواحـدة بموجب عقود الانتمـاء الاجتماعي، ضـمن سـلسـلة من الممارسـات الطقوسـية التقليدية أو المسـتحدثة، التي تندرج ضمن طقوس العبور أو المرور كالميلاد أو الزواج والوفاة" (طايلب، 2021، 519).

4. أشكال ورموز الوشم:

للوشم عدة أشكال ورموز، حيث يقلد ويحاكي الواشم أو الواشمة أشكالا مطروحة في الواقع تتخللها إحالات رمزية معينة، ...من الأشكال الشائعة نأتي إلى ذكر:

- **الأشكال الحيوانية**، تؤكد تلك الأشكال الحيوانية "على العلاقة بين الإنسان والحيوان منذ القدم من خلال اتخاذ لحيوان معين طوطمه الخاص، ...ومن أبرز الأشكال الحيوانية الحمامة والأفعى، الحمامة رمز للحرية والسلام، أما الأفعى فرمز للشر والغدر".
- **سعف النخيل**، هو نوع من الوشوم "يوضع على الجبين، يأتي بشكل خط مستقيم تتفرع منه خطوط صغيرة من الجهتين، وهو من أبرز رموز الزينة والانتصار في المغرب العربي، غير أنه في الجزائر كان دليلا هوياتيا يفرق بين الأهالي والأجانب." (ساري ، 2017، 318). فانتقل الوشم بذلك من تأدية الوظيفة الجمالية إلى كونه حاملا لهوية اجتماعية معينة، وبالتالي أصبح الجسد نصا يقبل للقراءة من طرف الآخر، حيث يتم التعرف على الشخص الموشوم من خلال رمز الوشم.
- **الأشكال الهندسية**، تحوّل الجسد الأنثوي في مجتمعات المغرب العربي إلى حقلٍ للزخرفة والرسومات الهندسية بامتياز، حيث "بدأ الوشَّامون بوضع النقطة وهي شكل هندسي، وقد تحولت إلى خط مستقيم ثم إلى دائرة". (الخفاف، 1979، 24-42) في هذا السياق أشارت الكاتبة الفرنسية M. GAUGRY ضمن كتابها LA FEMME CHAOUIA DES AURES إلى أغلب أشكال الوشم التي يمكن أن تضعها المرأة الشاوية في الأوراس" غير أن الخط الموشوم على ذقن أو جبهة المرأة له نقطة بداية وأخرى للنهاية، الأمر الذي يوحي أن تلك النسوة لهن حدود تتقيدن بها، "ويسمى الوشم الذي يكون على شكل خطوط -بالسيالة- وقد لوحظ أن هذا الأخير تشمه الأمهات على جباه بناتهن بعد فترة البلوغ بغرض التزيين مع تمرير رسالة للآخر بأنها بنت ناضجة بلغت سن الزواج." (ساري، 2017، 319).
- **النجمة**، هي من الرموز المألوفة لدى العرب، "كانت توشم لدى أفراد المجتمع المحلي على ظهر اليد بين السبابة والإبهام، تكون هذه النجمة خماسية، ...هي في اعتقاد أفراد المجتمع المحلي تبعد العين الحاسدة والشريرة لاحتوائها على خمسة رؤوس، فلطالما اعتبر العدد خمسة مقدسا لقدرته على ابعاد العين الحاسدة." (ساري، 2017).
- **الشمس**، تحمل معاني محددة، فهي "تأخذ نفس الموضع الذي تأخذه النجمة، بين السبابة والإبهام أو الخد، ...تنطوي دلالته الرمزية على معنى الحرية والسلام" (ساري ، 2017)

5. الإحالات الرمزية للوشم الأنثوي:

يختلف الوشم الذكوري عن الآخر الأنثوي ذلك لأن "المرأة يمكنها أن تشم مقدمة جسدها بينما يكتفي الرجل بوشم يده، الذراع والعضد." (الخطيبي، 208، 59) لا يمكن الحديث عن الوشم لدى المرأة دون استحضار المعطى الثقافي، ذلك لأن الوشم في حد ذاته تجسيد لثقافة معينة، وهو بعد ذلك يحمل رسائل اتصالية في نسق ثقافي. يتمأسس الوشم لدى المرأة على علاقة ثنائية، تربط المرأة والرجل بما يحيط بهما من بيئات مجاورة في الوجود، إن هذا الأخير -الوجود- هو عبارة عن "مجموعة من المظاهر العلاماتية التي يعيش الإنسان معها علاقة جذب وتباعد، تفاعل واتصال ليحدد موقفه النهائي منها، وتنتمي هذه المظاهر الدلالية إلى أنساق ثقافية أسست لها باختلاف آليات إنتاج العلامة فيها، لكنها تهدف إلى خلق آليات تواصلية تعتمد التشفير والترميز." (الركابي، 2019، 100) تكتسب أي علامة على اختلاف العلامات التي ينتجها ويتفاعل بناءً عليها الإنسان دلالتها في السياق الثقافي، لذلك فهي من العناصر التي تشكل نسقا ثقافيا بعينه، إن أية علامة هي في الأصل نتاج لنسق ثقافي معين ذلك لأن "سيميائيات الثقافة تعتبر جميع مظاهر الكون ومخلوقاته ومنتجات الإنسان حافلة بالرموز والعلامات الدالة التي تندرج وفق أنظمة متعددة ومتقاربة قادرة على توحيد الظواهر الإنسانية المتنوعة والمختلفة بفعل أنها انتاج ثقافي." (سرحان، 2008، 20) بهذا الشكل يتم تبرير أن العلامة هي نتاج ثقافي.

إن اعتبار الوشوم وفق ما يشير إليه ابن منظور من جملة العلامات، ونظرا لكون العلامات نتاج ثقافي، فهذا يعني أن الوشم نتاج ثقافي يتعلق بالجسد، وعليه يمكن التعاطي مع الجسد على أنه "واقعة اجتماعية ومن ثم فهو واقعة دالة تتأثر بالحدود الثقافية وبالكثافة الأنثروبولوجية المشحونة بالطقوس والشعائر والمعتقدات الاجتماعية." (صالح، 1987، 213). في اطار البحث عن الإحالات الرمزية للوشم، وبعكس ما تظهر عليه لدى المرأة من دلالات جمالية، فإنه توجد عينة من المصادر تشير أن الوشم هو بمثابة أداة كانت المرأة خلال ثورة التحرير تدافع بها عن شرفها، في هذا الإطار نذكر أن هناك "روايات من الثورة الجزائرية تكشف تحولاً في مفهوم الوشم على وجوه النساء الشاويات الأمازيغيات، ففي فترة ما قبل الاستعمار كان رمزاً للجمال والأنوثة والخصوبة، لكنه خلال فترة الاستعمار الفرنسي، والثورة التحريرية ما بعد عام 1954 بات فعلاً إجبارياً على فتيات العائلات الجزائرية تفادياً للاغتصاب." (قدادرة، 2020). يرتبط إذن الوشم لدى المرأة بأبعاد تاريخية ذات علاقة بثورة التحرير، حيث كانت المرأة تستعمله لتنفير الجنود الفرنسيين عنها، ضمن هذا الإطار يضيف قدادرة "يذكر مجاهدون ومجاهدات ضد الاستعمار أن الجنود الفرنسيين كانوا يرتابون من صاحبة الوشم، اعتقاداً منهم أنها رموز شعوذة وسحر قد تصيبهم بلعنة ما. وبالتالي فقد تحول الوشم إلى فعل ثوري تدافع به المرأة عن شرفها وبذلك فهو بذلك ينهض على وظيفة دفاعية." (قدادرة، 2020).

في موضـع آخر، ترتبط ظاهرة الوشـم لدى المرأة بالوظيفة العلاجية، من خلال نوع الرموز التي توشـح بها المرأة جسـدها، على شـاكلة ما تمارسـه في المجتمع القبائلي من طقوس، وبالتالي فإن "الإحالة الرمزية للوشـم تمتد كمحدد وقائي لتغطي مجالات أخرى داخل الحدود الثقافية للمجتمع القبائلي، وتشـمل بذلك الحماية من بعض الأمراض كالخَلَع التـي يحققها الوشـم الذي يتخذ علامة على الـمعصم أو التخفيف من بعض آلام العيون وهي القيمة الكاملة في الوشم الذي يغطي قوس حاجب العين."(virgier, 1984, 307) لذلك فإن ظاهرة الوشـم تتمأسـس فضـلا عن الوظائف السـابقة على وظيفة علاجية. وفي موضـع ذي صـلة، فإن الإحالات الرمزية للوشـم لدى المرأة تمتد لتصـل ووظائف خلافية، فكما لحضـور الوشـم دلالاته ومعانيه الرمزية، فإن لغيابه تأويلات رمزية هي الأخرى، وبالتالي "فللوشـم رمزية اجتماعية قوية، فهو قد يعبر عن الإنتماء الاجتماعي وركيزة الإحسـاس بالانتماء الموحد، لذلك نجد أن المرأة بمنطقة جيملة - تابعة لولاية جيجل- تضـع وشـوم بدوافع اجتماعية، ومن ترفض الوشـم يتم وسـمها اجتماعيا على أنها مؤذية بعينها أي أنها تصـيب غيرها بأذى العين." (بوصـلب، 2021، 737) لظاهرة الوشم لدى المرأة إذن وظيفة اجتماعية تتعلق بالوسم أو الوصم.

لا تعد الوشـوم التي يتوشـحها الجسـد الأنثوي صـدفية، فهي ذات دلالات ومعاني مقصـودة، ومثال ذلك استعمالات الوشم لدى المرأة القبائلية كنموذج تفسيري نستعين به حاليا فضلا عن نماذج أخرى، حيث "أظهرت المرأة القبائلية ولعا كبيرا بهذه الرموز حتى صـارت قانونا اجتماعيا ملازما لبعض الطقوس كالزواج، وعليه تحددت قاعدة عدم إقبال أية فتاة على الزواج دون أن تكون موشَّـمة، هذا الفرض للرموز التزيينية إنما يتقرر من قبيل العرف الثقافي الشائع الذي يلزم أي عروس أن توشم وجهها خاصـة قبل الذهاب إلى بيت زوجها، وهذا نظرا لما تضـفيه رموز الوشـم من جمالية وفتنة متميزة." (يخلف، 2017، 218). فمن وظائف الوشـم لدى المرأة الوظيفة الجمالية والتزيينية. فضـلا على ما سـلف، فإن هذه الظاهرة لا تكتفي بالإحالات الرمزية السـابقة، إنها تتعدى ذلك إلى غاية الإغراء، هذا الأخير بوصـفه ممارسـة اجتماعية، وعلى سـبيل الذكر لا الحصـر، فالمرأة في منطقة جيجل كنموذج هي الأخرى ضمن هذا البحث "تشم في مراحل معينة من العمر المتمثل في النضج وقرب سـن الزواج، لتبين قدرتها على تحمل ألم إبرة الوشـم كدلالة على قدرتها على تحمل الصـعوبات والمهام المنزلية عند الزواج، كما أنها بوضعها تلك العلامات على جسدها تبعث برسائل بشكل رمزي للشباب تبين أن جسدها جذاب ومغري وهو مصدر للسعادة والرغبة فالوشم يزيدها زينة وإغراء." (بو صلب، 2021، 738)

تمارس المرأة انطلاقا من الوشـم عملية تسـويق لذاتها نحو الآخر، فهي "بأسـاليب التمويه التي تلصـقها بجسـدها تكتب مباشـرة على جسـدها، تعطي عناية خاصـة لفتحات جسـدها، عينها، فمها، إنها ترسـم، ورسـمها تكثيف لرغبتها، والرجل تتولد لديه حساسـية خاصـة نحو هذه الرموز." (أفاية، 1988،

19) فالوشم وفق هذا المنظور يعد وظيفة لتسويق اجتماعي يتعلق بالزواج انطلاقا من الإغراء فضلا عن ذلك تحتاج المآسي والنكبات الاجتماعية التي تمر بها المرأة كالطلاق أو الفراق إلى كيفية للتنفيس، لذلك فهي تتخذ من بعض الرموز التي تشِمُها على جسدها ككيفية رمزية للتعبير عن حزنها أو غضبها الاجتماعي رغم ما يرافق ذلك من آلام الوخز، وعليه فإن "المنطقي أن المتعة لا تتحقق بالألم الممارس على أنفسنا، لذا تحرينا عن العلاقة بين المرأة الشاوية وبين الوخز وآلامه، فوجدناها كمن يداوي نفسه بالتي هي داء، فمثلا من فارقت حبيبها أو تزوجت غيره ترسم قلبا أخضرا يخترقه سهم، فهي تفرغ مكبوتاتها ووجعها عن طريق الشعور بالألم، مما يمكن وصفه بالمازوشية التي مصدرها رغبة العدوانية على الذات، وبصمة العقل الباطن، يعتبر الوشم وسيلتها لإفراغ شحنة الحزن والغضب، وإظهار صبرها، وبالتالي تظهر وظيفة الترويح الاجتماعي لظاهرة الوشم في نموذج المرأة الشاوية. بكيفية مغايرة تختصر الوظائف السابقة تشير الباحثة الجزائرية في الأنثروبولوجيا وحيدة سدراتي أن الوشم دلالة على ثلاثية العيش لدى الأنثى في منطقة الأوراس ذات الأغلبية الأمازيغية، وهي الحبّ بداعي الخصوبة والزواج، والألم بداعي الفراق في الحياة أو الفراق بالموت، والجمال الذي تختزله تقاسيم وجه المرأة أو الأنثى.

يتعدى الوشم في شقه الأنثوي نسق الإحالات الرمزية التي سبقت الإشارة إليها، فهو يجسد بعدا يتعلق بالهوية النسوية للمرأة وما يعتريها من مكبوتات على شاكلة المرأة الأمازيغية، إن للوشم "بُعد اجتماعي ثقافي هوياتي لأن الوشم يعد علامة سيميوطيقية رمزية تعبر عن هوية المرأة الأمازيغية والتي تميزها عن باقي نساء الشعوب الأخرى، حيث تستخدم المرأة عدة أشكال ورموز في الوشم تتعدد دلالاتها ورمزيتها، وهي وسيلتها للتعبير عن هويتها النسوية ورغباتها المكبوتة." (بوصلب، 2021، 740) وبالتالي فإن الوشم يحتوي في الآن ذاته ماضي وحاضر وأحلام المرأة، فنجد إذن "المرأة التي تحمل الوشم تحمل معها ماضيها المصاحب الذي لا خلاص منه، وحاضرها الذي تعيشه، وأحلامها التي تنشدها." (عبد الحكيم، 2012، 11) لذلك نستحضر وظيفة خلافية للوشم الأنثوي تتمثل في ترسيخ الهوية النسوية ومكبوتاتها.

خاتمة

بوصفها كممارسة ثقافية، فإن ظاهرة الوشم تنهض على إحالات رمزية خلافية حمَّالة لأبعاد ووظائف ليست صدفية، ذلك لأن الأغراض التي تشِم من أجلها المرأة تختلف عن أغراض الرجل في الوشم، كما أن المرأة في حد ذاتها لا تتفق على غرض واحد إذا تعلق الأمر بالوشم، وعليه فإن من الوظائف البارزة التي تؤديها ظاهرة الوشم لدى المرأة وفي المقام الأول الوظيفة الجمالية والتزيينية، لإرتباطها بغايات محددة كالزواج على سبيل الذكر. إن الوظيفة الدفاعية لظاهرة الوشم هي من الوظائف التي كُرست للوشم، حيث كانت المرأة الجزائرية خلال ثورة التحرير تدافع عن شرفها بالوشم،

ذلك لأن جنود الاحتلال كانوا ينفرون من المرأة الواشـــمة، وبالتالي ينهض الوشـــم لدى المرأة على أبعاد تاريخية ذات علاقة بثورة التحرير، وانطلاقا من الدراســات والأعمال الســوســيو-انثروبولوجية التي تم المرور خلالها ضمن هذا البحث فإن للوشم لدى المرأة وظيفة علاجية، حيث تتبنى المرأة رسومات معينة تعتقد أنها تحمل علاجا لبعض الأمراض كالخَلَع، أو التخفيف من بعض آلام العيون بوصــفها القيمة الكاملة في الوشم الذي يغطي قوس حاجب العين.

من جهة أخرى وفي الإطار ذاته، تنهض ظاهرة الوشـــم لدى المرأة على وظيفة اجتماعية تتعلق بالوســم أو الوصم، ذلك أن حضــور الوشــم لدى المرأة يختلف عن غيابه، إن غياب الوشــم لدى بعض النســاء يجلب نوعا من العار الاجتماعي يرتبط بالعين والحســد، حيث في اعتقادهم أن المرأة التي لا تضع الوشــم هي مصــدر للعين والحســد. في الســياق ذاته، فمن وظائف الوشــم لدى المرأة وظيفة التســويق الاجتماعي، حيث يتعلق بالزواج انطلاقا من عملية الإغراء، كما هو الحال في نموذج المرأة الشـــاوية، وبالتالي فالمرأة انطلاقا من الوشــم تمارس عملية تســويق لذاتها نحو الآخر. كما تتطلب المعاناة والمآســي والنكبات الاجتماعية التي تمر بها المرأة على شـــاكلة الطلاق أو الترمل والفراق عن الآخر كيفية للتفريج عنها، وبالتالي تتخذ لهذا الغرض من بعض الرموز التي تشِــمُها على جســدها كيفية رمزية تعبر بناءً عليها عن حزنها أو غضــبها الاجتماعي، رغم ما يرافق ذلك من آلام الوخز عند الوشـــم، وهو ما نطلق عليه بوظيفة الترويح الاجتماعي لظاهرة الوشم، كما هو الحال في نموذج المرأة الشاوية.

تتعدى ظاهرة الوشــم إذا تعلق الأمر بالمرأة الإحالات الرمزية الســابقة، حيث يرسـخ فضــلا عن ذلك بعدا يرتبط بالهوية النســـوية للمرأة وما يتخللها من مكبوتات، كما يظهر ذلك إذا تعلق الأمر بالمرأة الأمازيغية، فالوشم لدى المرأة يحمل ماضيها وحاضرها، وعليه فإنه يجسد فضلا عن الوظائف السابقة وظيفة ترسيخ الهوية النسوية للمرأة ومكبوتاتها. إن ظاهرة الوشم لدى المرأة وبصرف النظر عن بساطتها أو تعقيدها، فهي تحمل العديد من الدلالات العقائدية والفلسـفية والاجتماعية، لذلك فالوشـم يتجاوز كونه رسما حيث ينهض على إحالات ثقافية تختلف من مجتمع وفق الوظيفة التي يؤديها.

قائمة المصادر والمراجع

ابراهيم, الزهرة .(2009) .الأنثروبولوجيا والأنثروبولوجيا الثقافية: وجوه الجسد .دمشق: النايا للدراسات والنشر والتوزيع.

أفاية , نور الدين .(1988) .الهوية والاختلاف في المرأة والكتابة والهامش .المغرب: افريقيا الشرق.

البحيري بن حبيرة .(2008) .الجسد والمجتمع: دراسة أنثروبولوجية لبعض الاعتقادات والتصورات حول الجسد .تونس: دار محمد علي للنشر.

الهلنسي عفيف .(1997) .النقد الفني وقراءة الصورة .القاهرة: دار الوليد.

الخطيبي عبد الكريم .(2008) .الاسم العربي الجريح) .ي. محمد (.Trad ,بغداد: منشورات الجمل.
الخفاف ليث .(1979) .وشوم الحنك .مجلة التراث الشعبي.(3)
الركابي ناجي عباس مطر.(2019).الوشم والرمزية الثقافية.مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية.(8)
معجم الوسيط .(2004) .مكتبة الشروق الدولية.
بركات محمد مراد .(2008) .فن الوشم: رؤية أنثروبولوجية نفسية .مجلة الثقافة الشعبية.(3)
بلقاسم الجطاري. (2000). الوشم كظاهرة سيميوطيقية في الثقافة الأمازيغية: سؤال الثقافة الأمازيغية البناء والنظرية. المغرب: منشورات كلية الآداب.
بن سليمان عبد النور .(1998-1997) .الممارسات المغيرة لطبيعة الجسم: الوشم أنموذجا .رسالة ماجستير.
بوصلب, عبد المجيد .(2021) .الوشم التقليدي لدى المراة بمنطقة جيجل .مجلة المعيار.(56)
حسيني, علي محمد .(2013) .رموزالوشم الشعبي: دراسة مقارنة .القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
ساري, وهيبة. قريصات زهرة.(2017).الوشم التقليدي على الجسد الانثوي: جمال وهوية.مجلة الخلدونية.(2)
سرحان, هيثم .(2008) .الأنظمة السيميائية: دراسة في السرد العربي .ليبيا: دار الكتاب الحديث المتحدة.
سويلم , يحيى .(2013) .الوشم ورموزه...نقوش على جلود البشر .جريدة الفنون.(160)
صالح, جوى .(1987) .الوشم عالم من الأسرار والمعتقدات .مجلة الهلال.(6)
طايلب, نسيمة .(2021) .تشظي المعنى في رموز الوشم: من سوسيولوجيا الجسد إلى سيميولوجيا الوشم .مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية والإنسانية .(2)
طلعات , راجي حلمي .(2008) .الوشم ورموزه الشعبية في الفن القبطي: كمدخل لإستلهام أعمال فنية معاصرة .جامعة حلوان: كلية التربية الفنية .
عامر, سوسن .(1981) .الرسوم التعبيرية في الفن الشعبي .مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
عباس, حسين .(2014) .الوشم في افريقيا الوسطى .مجلة افريقيا قارتنا.(10)
عبد الحكيم, خليل سيد أحمد .(2012) .التجليات الرمزية للوشم في المعتقد الشعبي بين الخصوصية الثقافية والثقافة الشعبية .المؤتمر الرابع للفن والتراث الشعبي الفلسطيني: واقع وتحديات .(8) فلسطين: جامعة النجاح الوطنية- كلية الفنون الجميلة .
كركوش، فتيحة. (2015). مدخل أنثروبولوجي لممارسة الوشم. مجلة العلوم الإنسانية .(9).

قدادرة, عاطف .(2020) يوليو الثلاثاء .الوشـم: رموز غامضـة للزينة عند الأمازيغ وسـلاح لتنفير جنود الاستعمار. جريدة أندبندت ,فقرة 2 .

وافي, علي. (1959) .الطوطمية من أشهر الديانات القديمة .

يخلف, فايزة.(2017) .ديسمبر. التواصل غير اللغوي: الدلالة الثقافية للوشم عند المرأة القبائية .مجلة الممارسات اللغوية .(3)

GEORGE, G. (1984). notes sur le tatouages des berbères. paris: édition dunod.

Virgier, R. (1984). la femme kabyle et le tatouage. paris: édition dunod.